النفعية الحدسية عند هنرى سيدجويك

د. هشام صالح سليمان

أستاذ الفلسفة الحديثة المساعد

بقسم العلوم الاجتماعية- كلية التربية

جامعة الإسكندرية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

Henry Sidgwick* "سيدجويك" (١٨٣٨: ١٩٠٠م) فيلسوف انجليزى، وأستاذ كرسى نايتبردج للفلسفة الأخلاقية بجامعة كيمبردج، منذ عام ١٨٨٣م حتى وفاته، كان طوال حياته يمثل رجل جامعة كيمبردج، وكان نتاجاً يحمل طابع تلك الجامعة بأكمل معانيه، كتب فى الاقتصاد كما كتب فى الفلسفة، وكان عضواً مؤسساً لجمعية البحث فى الروحانيات، كما كان أول رئيس لها. والكتاب الذى يُذكر به سيدجويك هو "منهج علم الأخلاق" الذى نشر فى عام ١٨٧٤م، ولكنه نُقح ووُسع فى الطبعات التالية، وفيه اتخذ سيدجويك موقف مذهب اللذة فى المنفعة، ولكن بعد أن تعرف على جوانب المشكلات الأخلاقية المتعددة تعرفاً أكثر وضوحاً، وبعد أن عالج المشكلات التى أثيرت معالجة أكثر احترافاً عما هو شائع. فبعد أن أنكر سيدجويك إمكانية تعريف المصطلحات الأخلاقية بمصطلحات غير أخلاقية مضى فى قوله بأن الأخلاق مؤسسة على حدس أخلاقى مؤداه: "إننا ينبغى أن نسعى إلى اللذة"، لأن اللذة هى الخير الوحيد الأسمى، وكل معرفة أساسية أخرى فى الأخلاق إنما تبحث طريقة توزيع اللذة توزيعاً أمثل ؛وهكذا نرى أن الحالات المشابهة ينبغى أن تعالج معالجة متشابهة، وأن "الخير لأى فرد من الأفراد ليس بذى أهمية أكبر، من وجهة نظر الكون، من الخير المماثل له بالنسبة إلى أى فرد آخر". ومن هذه النقاط الأساسية يستخرج سيدجويك مبدأ الإحسان ومؤداه أن "كل فرد ملزم أخلاقياً بأن يراعى الخير الخاص بأى فرد آخر بمقدار ما يراعى الخير الخاص به "، ويرى سيدجويك أن الناس فى مجال العمل إنما يتأثرون فى أخلاقهم بقواعد السلوك لا بمبادئ عامة هى مبادئ مذهب اللذة العامة. وهو نفسه راغب فى قبول هذه القواعد السلوكية على أساس أنها وسائل إلى الغاية النفعية، لكن هذا الموقف عنده لأن سيدجويك وجد نفسه مضطراً لأن يسلم بالمبدأ القائل بأنه: " ليس من المعقول بالنسبة لى أن أضحى بسعادتى من أجل غاية أخرى، " إذ إنه مبدأ يراه واضحاً بذاته وهو نفسه مذهب الأثرة العقلى فى الأخلاق.

---

* جوناثان رى، وج. أو. أرمستون، الموسوعة الفلسفية المختصرة، ترجمة :فؤاد كامل، جلال العشرى، عبد الرشيد الصادق المحمودى، مراجعة واشراف: زكى نجيب محمود، المركز القومى للترجمة، القاهرة، ٢٠١٣، ص١٨٥: ١٨٦.

Craig ,Edward, The Shorter Routledge Encyclopedia of Philosophy ,Routledge Taylor &Francis Gourp,London and NewYork,2005,p. 960.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ومن أهم مؤلفاته:

١- مناهج علم الأخلاق "The Methods of Ethics"عام ١٨٧٤م.

٢- مبادئ الاقتصاد السياسى "Principles of Political Economy "عام ١٨٨٣م

٣- أسس السياسة "Elements of Politics"عام ١٨٩٨م.

٤- الفلسفة مجالها وعلاقاتها "Philosophy, It's Scope and Relations " عام١٩٠٢م.

هذا بالاضافة إلى بعض المقالات مثل :

١- مقالة "تأسيس مبادئ علم الأخلاق الأولى " The Establishment of Ethical First Principles عام ١٨٧٩م

٢- مقالة "الأخلاق النفسية السلوكية" Idiopsychological Ethics عام ١٨٨٧م.

٣- مقالة "أخلاق النزاع "The Morality of Strife عام ١٨٩٠م

وعاش "سيدجويك" فى جو عقلى يغلب عليه النزعة الحدسية من خلال التقريب بين مذهب النفعية ومذاهب الحدسيين والعقليين، فكان طبيعياً أن يكون مذهبه مرحلة انتقالية فى تاريخ المذهب النفعى، بدأت النفعية فردية على يد "أبيقور" (٣٤١: ٢٧٠ق. م) Epicurus قديماً و"هوبز" Hobbes (١٥٨٨: ١٦٧٩م) حديثاً، ثم تحولت إلى منفعة "أكبر عدد من الناس" على يد "بنتام"Bentham (١٧٤٨: ١٨٣٢م)، و إن كانت مازالت تقوم عنده على أسس فردية تجعل الأنانية قوام النفعية الجماعية، بل تضحى بمنفعة الكثرة إن تعارضت مع منفعة الفرد، ثم تطورت على يد "مل" Mill (١٨٠٦: ١٨٧٣م) حتى أصبح من واجب الفرد أن يطلب منفعة غيره بالقوة نفسها التى يلتمس بها منفعته الخاصة، بل أبيح للفرد فى مذهبه أن يضحى بمصلحته من أجل المجموع، ودخلت إلى النفعية عناصر عقلية، تسللت إليها على نحو ما عرفناه من قبل، فإذا انتهى عصر "مل" كانت النزعة الحدسية والعقلية قد عرفت طريقها إلى النفعية، فاتصلت بها علانية وجهراً على يد سيدجويك، وهكذا تحولت النفعية إلى مذهب عقلى أو غيرى فى اللذة: فما التعديلات التى أضافها "سيدجويك" إلى النفعية ؟ والإجابة عن هذا السؤال تتطلب منا توضيح نقد "سيدجويك" للنفعية التقليدية. ومن خلال هذا التوضيح سنصل إلى الأسس الذى أقام عليها مذهب النفعية الحدسية. وبعد ذلك ننتقل إلى تقييم هذا المذهب.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٧ نقد سيدجويك للنفعية التقليدية:

لم يميز أكثر دعاة النفعية التقليدية بين طلب اللذة بدافع من فطرة البشر، وضرورة طلبها كغاية "ينبغى" أن ينشدها كل إنسان، فخلط "هوبز" ومن ذهب مذهبه بين القول بأن الناس بطبيعتهم ينشدون اللذة بالفعل، وبين القول بأن اللذة غاية ينبغى أن تتجه إلى تحقيقها أفعال الإنسان، ومن هنا قام مذهب اللذة الأخلاقى على أساس من مذهب اللذة السيكولوجى. هذا إلى أن مصلحة المجموع تقوم على أساس من مصلحة الفرد فيما ذهب "بنتام"، أو لاتتنافى معها على أقل تقدير فيما قرر "مل" – مع إباحته تضحية الفرد لذاته الأخلاقى وعمق اللذة وشدتها على شمولها وامتدادها للكثيرين إن تعارضاً! ويجعل "مل" سلوك الفرد أداة لتحقيق لذاته، فإذا به يغير هذا الرأي –عند تفسير التضحية والاستشهاد مثلاً- فناقض بذلك نفسه، وخرج على منطق مذهبه كما عرفنا من قبل. (١)

وجاء سيدجويك فعارض قيام النفعية على هاتين الدعامتين، وجاء دحضه لهما على هذا النحو: اعترف أولاً باللذة عنصراً ضرورياً لإقامة مذهب أخلاقى كامل، لأن الغاية التى يجب أن نقصد إليها ينبغى أن تكون بحيث ترضى نزعاتنا وتشبع مطالبنا، حتى إذا سئلنا عن السبب الذى من أجله نسعى لتحقيق غاية ما، كان جوابنا الوحيد المعقول أنها تسد حاجة فى طبيعتنا، أو تشبع أعظم حاجة من حاجاتنا، والواقع أن ما يسد أقصى حاجاتنا أو مطالب طبيعتنا يحمل معه لذة لنا، وقد يوصف من أجل هذا بأنه لذة، ولكن هذه اللذة لاتحوى لذة ! إن لها مضموناً موضوعياً لأن الشئ الذى يشعرنا باللذة قد يكون لذة فرد آخر، وقد يكون فى سلامة وطننا، أو أداء ما نتصور أنه واجب مفروض علينا، مثل هذه الأمور يؤدى تحقيقها إلى لذات نشعر بها، ولكنها ليست فى ذاتها لذة، ومن هنا يحدث الخلط حينما نظن بأن قولنا: ينبغى أن نبحث عن اللذات، شبيه بقولنا :ينبغى أن نبحث عن اللذة ؛ ويقول "سيدجويك" إننا إن خلونا إلى أنفسنا أدركنا أن ليس ثمة شيئًا جديرًا بأن نبحث عنه إلا اللذة، وما دامت اللذة هى الشئ الوحيد المرغوب فيه، فإن أعظم الأشياء لذة هو أكثرها إثارة لرغبة الإنسان، وبذلك تكون اللذة الأقوى مفضلة على اللذة الأقل فى قوتها، والتى تمتد أمداً طويلاً تفضل عن اللذة التى لاتدوم إلا أمداً وجيزاً، وعند تقدير لذاتنا ينبغى اعتبار الماضى منها والمقبل شبيهاً بالحاضر من اللذات فى قيمتها، لأن مجرد الخلاف فى الزمن لايؤدى إلى خلاف فى قيمة لذّاتنا. (٢)

أقر سيدجويك أن اللذة غاية للسلوك الأخلاقى، ولكنه حولها إلى منفعة المجموع من ناحية، وأقامها على أسس حدسية من ناحية أخرى، ورأى أن من المستحيل على العقل أن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يسلم بالقاعدة التى تقول: على كل فرد أن يتبع لذاته الخاصة ولو أدى هذا إلى إنقاص لـــذة الجميع، إن القاعدة المعقولة التى ينبغى أن يسير السلوك بمقتضاها تقول: إن على كل فرد أن يعمل على تحقيق أكبر قسط من اللذة يصيب المجموع، فإذا تعارضت لذة الفرد مع لذة المجموع كان عليه أن يضحى بلذته فى سبيل المجموع، وبهذا يرتد الأنانى إلـــى العقـــل ويعمل بمقتضى أوامره، إنه لا يستفتى طبيعته، وإنما يلجـــأ إلـــى هـــدى العقـــل ويعمـــل بمقتضاه، وإذا أقام أتباع اللذة الفردية موقفهم على أساس عقلى، قادهم هذا إلى القول بـــأن غاية السلوك الإنسانى هي تحقيق أكبر مقدار من اللذة للمجموع كله. (٣)

v تأسيس النفعية الحدسية:

رأى "سيدجويك" أن اللذة هى الشئ الوحيد الذى يرغب فيه الإنسان لذاته، ومن ثم كانت على الدوام هدف اختياره، وفى اختيار اللذة يأمرنا العقل بأن نكون على الحياد، بمعنى أن نختار أعظم لذة ممكنة التحقيق، وأن نسوى بين لذات المستقبل ولذات الحاضر، وبين لذاتنا ولذات الآخرين، وربما قيل إن "سيدجويك" بهذا قد انصرف عن مذهب اللذة الأنانى وأيد مذهب اللذة العامة باعتباره المذهب اللذِّى الوحيد الذى يساير منطق العقل، ولكن الذى نستطيع أن نستنبطه من مذهبه هو أن خيرنا يقوم فى لذاتنا، ثم نكتشف بعد هذا عن طريق العقل أن لذات الآخرين ينبغى أن يسوى بينهما وبين لذاتنا، وبهذا تكون لذتنا هى الخير الأقصى، ومن أجل هذا يرى "سيدجويك" أن هناك تناقضاً معيناً أو ثنائية فى أوامر العقل، فنحن مضطرون إلى البحث عن أقصى لذة لنا، ومع ذلك فنحن مطالبون بالبحث عن أعظم لذة لمجموع الكائنات الحساسة، وقد تتعارض هاتان الغايتان، ويقع تناقض بين أمرين مختلفين، وقد أشار "سيدجويك" إلى هذا التعارض واعتبره ثنائية العقل العملى. وهذه وجهة نظر لم تصادف قبولا، لأننا إذا مضينا فى هذا التناقض أبعد من ذلك، وجدنا تعارضاً قائماً بين البحث عن لذتنا فى اللحظة الحاضرة، والبحث عنها طوال الحياة. إذ يبدو أن الأولى أكثر إرادة لرغبة الإنسان، ومن ثم نرى –تمشياً مع قاعدة سيدجويك- أننا مضطرون للبحث عن أعظم قسط من اللذة فى اللحظة الحاضرة، كما ننشد أعظم مقدار منها يصيبنا طوال الحياة. (٤)

شعر "سيدجويك" بالحاجة إلى أساس عقلى يبرر ضرورة تضحية الفرد بسعادته من أجل الكل الذى يعتبر الفرد جزءاً منه، ورأى أن منهج المذهب النفعى عند "مل" لا يستقيم بغير افتراض حدس خلقى أساسى، ومن هنا لجأ إلى "كانط" Kant (١٧٢٤: ١٨٠٤م)، الذى أعجبه صدق مبدأه الرئيس: "اعمل وفق مبدأ أو قاعدة تستطيع أن تريد جعلها قانوناً

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عاماً للناس جميعاً"، ومع أنه رفض فلسفة "كانط" الميتافيزيقية، فإنه سلم بهذا المبدأ وجعل صورته: إن ما يكون صواباً(خيراً) لى، ينبغى أن يكون صواباً (خيراً) لجميع الناس متى تشابهت الظروف، ولكنه فطن إلى أن هذا المبدأ مع صوابه ودلالته العملية لايكفى لإقامة مذهب فى الواجبات، أو إخضاع المصلحة الذاتية للواجب، لأن الأنانى الذى يحتكم إلى عقله قد يعترف بهذا المبدأ ويظل مع هذا أنانياً![٥]

وقد رأى "سيدجويك" عند إعادة النظر فى علاقته بالمذهب الحدسى، أنه حدسى إلى حد الاعتراف بأن القاعدة العليا التى توجه الإنسان إلى تحقيق سعادة المجموع، يجب أن تقوم على حدس خلقى أساسى، وعندما أراد أن يقيم مذهبه فى المنفعة العامة احتاج إلى بديهة أولية تقول: "إن الإنسان العاقل مطالب بأن يقصد بتصرفاته إلى سعادة المجموع"، وقد وجد هذه الأولية فى كتابات الحدسيين الأول، ولكنه لم يمض مع المتطرفين من الحدسيين إلى حد التسليم بضمير الرجل البسيط على النحو الذى ذهب إليه بطلر Butler (١٦٩٢: ١٧٥٢م). [٦]

وكان القانون الوحيد الذى أراد اعتباره قانوناً عاماً، هو أن الناس يجب أن يتجهوا بأفعالهم وتصرفاتهم إلى ترقية سعادة المجموع، ومن هنا اعتبر "سيدجويك" نفعياً على أسس حدسية، وكانت الأوليات أو المبادئ الواضحة بذاتها التى سلم بها آخر الأمر هى كالتالي: مبدأ التبصر (المتضمن فى مذهب الأنانية العقلى)، ومبدأ العدالة أو الإنصاف والقسط ومبدأ الأريحية العقلية أو الإحسان (وهو الأساس المنطقى لمذهبه فى المنفعة العامة)، وبدا له أن الفهم المشترك بين الناس، يبدو كمجموعة قواعد تتجه إلى ترقية السعادة العامة من غير مبادئ واضحة بذاتها إلا تلك التى تكون على اتساق كامل مع النفعية العامة، أما التعارض بين مذهب النفعيين ومذهب الحدسيين فمرده فيما يبدو إلى سوء الفهم، كما أدى به منطق مذهبه إلى مذهب التأليه، ومن هنا كان اتفاقه مع "بطلر" و"كانط"، وقد انتهت به معاودة البحث فى منهج النفعية إلى تبين سوءاتها، فلاحظ أن الاهتداء بالحساب النفعى يسلم فى كثير من الحالات إلى الضلال، ولهذا كان كافيا للاسترشاد بالفهم المشترك بين الناس والاهتداء بميلهم إلى تنمية السعادة العامة. من هنا نرى أن تقدير قيمة الفعل الأخلاقية يتطلب الاستعانة بمبدأين فطريين لايقومان على أسس لذِّية، أى لايستمدان من تجربة اللذة والألم، هما: مبدأ العدالة، ومبدأ الأريحية باعتبارهما مبدأين فطريين يدرك صوابهما حدسياً أو عقلياً. [٧]

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إن محاولة "سيدجويك" التوفيق بين مذهب الحدسيين والعقليين من ناحية، ومذهب المنفعة العامة بواقعيته وحسيته من ناحية أخرى، كانت صدى لروح العصر الذى عاش فيه "سيدجويك"، وظهر فيه أعظم تعارض بين النزعة الروحية والنزعة المادية، أو بين اتجاه الحدسيين واتجاه الحسيين، والتقاء الضدين أمر ميسور لأن بينهما وحدة مشتركة تجمع بينهما. ولكن مذهبه لم يسلم من النقد، وكان طبيعياً أن يضيق به العقليون والحسيون من الأخلاقيين، وكان أظهر ما بدا لهم من مآخذه:

موقفه من اللذة أولاً، ليس من السهل علينا أن نسلم بأن اللذة هى الخير المطلق، إذ ليس للذة قيمة فى ذاتها، إنها إحساس بالقيمة، والدعوة إلى تحقيق أكبر مقدار من اللذة لأكبر عدد من الناس، وقد بشرت بها كثير من مذاهب الأخلاقيين على نحو ما عرفنا من قبل، ولكن التعديل الذى أدخله على تفسيرها "سيدجويك" جعل من العسير اعتبار مذهبه نفعياً أو لذّياً، لأننا عندما نستفسر عن السبب الذى من أجله تكون غاية الفعل الإرادى"تحقيق أكبر قسط من السعادة لأكبر عدد من الناس" يجيب "سيدجويك" على ذلك بأن العقل يقتضى أن تكون هذه هى غاية السلوك الإنسانى، بهذا خرج "سيدجويك" من الورطة التى وقع فيها "بنتام" و"مل" وغيرهما من النفعيين، ولم يوفقوا إلى النجاة منها بفشلهم فى تفسير العلاقة بين المنفعة الفردية ومنفعة المجموع، إلا أن سيدجويك أنقذ نفسه من هذه الورطة بإجابته السالفة، كما أنه تخلى بهذه الإجابة عن موقفه اللذى النفعى. لماذا يجب أن يعمل الإنسان لصالح المجموع، وأن يجاهد لتحقيق سعادة الآخرين؟ لأن هذا هو ما يقتضيه هدى العقل، لا لأن قانون وجوده كإنسان يوجب ذلك، وبهذا لم تعد اللذة قوام الأخلاق، وإن أساس الأخلاق قائم فى الإنسان نفسه. (٨)

v الحدوس الفردية : Individual Intuitions

وتعنى إمكانية أن نعرف مباشرة أن فعلاً بعينه "مثل" اغتيال بروتس لقيصر كان فعلاً خاطئاً، فأن يكون لديك حدساً كهذا لايتضمن بحال أن "الاغتيال السياسى صواب فى الحالات الأخرى"، وقد وصف "سيدجويك" النظرية التى ترى أن السبيل الوحيد لإدراك أو معرفة الصواب أو الخطأ يكون بالاعتماد على مثل هذه الحدوس المتعلقة بصواب أو خطأ أفعال خاصة "فردية" بأنها حدسية "إدراكية". (٩)

ويؤكد "سيدجويك" على الأهمية البالغة للحدوس الفردية الخاصة فى الحياة الخلقية، فقد تكون هذه الحدوس هى "الهادى" الوحيد والمتاح للفرد فى موقف يتطلب منه اتخاذ قرار فورى ومباشر، دون أن يعنى هذا "عدم الاعتراف بإمكانية الخطأ فى هذه الحدوس".

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

v الحدوس العامة: General intuitions*

يمكننا أن نعرف على نحو مباشر بدون عمليات استدلالية أن "فئة" أو "نوع" معين من الأفعال هى أفعال صائبة أو خاطئة، كما فى حكمنا: "إن قول الصدق، على الدوام، صواب". ويصف " سيدجويك" النظرية التى تزعم أن هذا هو السبيل الوحيد المتاح لمعرفة الصواب أو الخطأ فيما يتعلق بالأفعال بأنها "حدسية" دوجماطيقية Dogmatic intuitionism، وقد أشار"سيدجويك" إلى أن هذه "الحدوس العامة" تزودنا بقواعد تتصف بأنها صحيحة فى "معظم" المواقف، دون أن يمنع ذلك من ظهور بعض المواقف التى تندرج تحت هذه القواعد ومع ذلك تكون الحدوس المتعلقة بها مدعاة للشك أو حتى غير صحيحة. فلاجدال فى أن "القتل خطأ" وذلك فى معظم المواقف. ولكن هناك مواقف ينتفى فيها طابع الخطأ عن فعل القتل، كأن يكون القتل بدافع من الدفاع عن النفس، وهناك أيضاً مواقف تكون صفة الخطأ فى القتل مثاراً للجدل، كما فى "عقوبة الإعدام" أو فى الحروب، التى يكون من الواضح أن الدافع إليها ليس هو الدفاع عن النفس والوطن، كأن يكون الدافع إليها هو التوسع والاستعمار.

ويؤكد"سيدجويك" أن ما يوصف بأنه "حدوس عامة" ليست حدوساً باطلاق، ولكنها "تعميمات " Generalizations من الخبرة، فهى تتعلق بأنماط "السلوك" التى تؤدى (أو لاتؤدى) إلى السعادة العامة للمجتمع. فعندما يكون الحدس واضحاً وضوحاً ذاتياً ويقينياً، - كما فى مواقف "القتل العادية" - عندئذ لن يكون هناك ثمة شك فى أن ارتكاب فعل القتل يكون سلوكاً مناهضاً أو معوقاً لتحقيق سعادة المجتمع العامة، لكن فى "الحدوس" التى تكون مثيرة للشك والتردد، كما فى عقوبة "الإعدام"، فسيكون لدينا قدراً من الشك حول ما إذا كان مثل هذا السلوك هو بالفعل لصالح المجتمع ككل. ويرى "سيدجويك" أن حسم مثل هذه المواقف المثيرة للشك لايكون بالالتجاء إلى "الحدس"، وانما بالاعتماد على "النتائج".(١٠)

ولاجدال فى أن "سيدجويك" كان على صواب فى تأكيده على أن مثل هذه القواعد العامة الأخلاقية لاتعطى فى الغالب بالحدس المباشر، وإنما هى –بالأحرى- "تعميمات" من الخبرة، ومع ذلك فإن مثل هذه التعميمات، قد تكون من نوع آخر غير تلك التعميمات التى نصل إليها بالتجربة أو بالخبرة، أعنى التعميمات الغائية Teleological الخاصة

* http://plato. stanford. edu/entries/intuition/ (29/8/2016)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بأنماط السلوك التى تؤدى إلى نتائج مفيدة نافعة، كما فى مذهب منفعة القاعدة *Rule-Utilitarianism.

v الحدسية الفلسفية: Philosophical Intuitionism

الحدسية الفلسفية هى الوصف الذى أطلقه "هنرى سيدجويك" على النظرية الحدسية التى تزعم أن لدينا " إمكانية أن نعرف بالحدس المباشر بعض المبادئ الأخلاقية التى نحكم من خلالها على أفعال معينة بأنها صواب أو خطأ"، فقد ندرك على نحو حدسى، أن كل فعل يعامل الإنسان باعتباره مجرد وسيلة هو على الدوام فعل خاطئ. وربما لايجانبنا الصواب لو أطلقنا على هذه الصورة من النزعة الحدسية وصف "الحدسية الكلية" Universal Intuitionism طالما أنها تتعامل مع "المبادئ الكلية" فى مجال الأخلاق(١١).

يعتقد كثير من الناس أننا نعرف بالحدس أن أنواعاً معينة من الفعل تكون صائبة وأنواعاً معينة أخرى تكون خاطئة، فمساعدة الفقير هو دائماً فعل خير أو صائب وقول

---

* تختلف " نفعية القاعدة " Rule utilitarianism عن " نفعية الفعل"، وقد نسبت لـ Mill : الذى صرح بأن (كتاب فلسفة الأخلاق لم يشعروا ــ فقط ــ بضرورة إرجاع كل قواعد السلوك وكل أحكام الثواب والعقاب إلى مبادئ، لكن أيضا إرجاعهم إلى مبدأ واحد ما أو قاعدة ما. وتلك التى يتم استبعادها بافتراض ذلك المعيار العام. أصبحت كذلك فقط بافتراض أن الحس الأخلاقى أو الغريزة الأخلاقية فى دستورنا تخبرنا بأمرين: أولا: ما مبادئ السلوك التى يجب اتباعها؟ ثانيا : ما الترتيب الذى تتبع به هذه المبادئ بعضها البعض؟).

Gowans. Christopher W ,Moral dilemmas, Oxford press,New York,1987,p. 52

وأصبح لنفعية القاعدة مؤيدون مؤخرا مثل براندت R. B Brandt وجون رولز J. Rawls. وما هو مشترك بين هؤلاء الفلاسفة ويشكل المغزى الأساسى لنظرية منفعة القاعدة هو الاعتقاد بأنه إذا ماكان فعل ما صحيحًا أو خاطئا من الناحية الأخلاقية أمرًا يتوقف على ما إذا كان هذا الفعل يمتثل لقاعدة خلقية ما أو يشكل خرقا لها؛ ومذهب النفعية يوضح مركزية القواعد في الأخلاقيات.

(عادل ضاهر، نقد الفلسفة الغربية الأخلاق والعقل، الجامعة الأردنية بالأردن، المجلة الفلسفية، الجمعية الفلسفية العربية، ١٩٩١م، ص٣٣٤، ٣٣٥)

وهناك ثلاثة نماذج من نفعية القاعدة: أ) Idealistic rule-utilitarianism نفعية القاعدة المثالية: وفقاً له تكون الأفعال صحيحة فقط لو كانت تتفق مع مجموعة القواعد التى يحقق قبولها العام أكبر قدر من المنفعة. ب) Actual-state rule-utilitarianism الحالة الفعلية لنفعية القاعدة: وفقاً له تكون الأفعال صحيحة فقط لو كانت تتفق مع مجموعة القواعد التى يحقق قبولها العام أكبر قدر من المنفعة، ومتفق عليها بشكل من قبل مجموعة اجتماعية متعلقة بها. ج) Conditional rule-utilitarianism نفعية القاعدة المشروطة: ووفقاً لهذا النموذج يكون الفعل صحيحاً فقط لو كان يتفق مع القاعدة التى يحقق تطبيقها دائماً أكبر قدر من المنفعة.

Scarre Geoffry, Utilitarianism,Routledge,New York,1996,pp123:125

Mackie, Ethics :Inventing Right and Wrong,ch6"Utilitarianism","The"Proof" of Utility, Penguin Books 1990,p140.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الكذب هو فعل طالح أو خاطئ، بيد أن حدوسنا "تمدنا بقواعد أخلاقية عامة تصدق بلا استثناء فى كل الظروف "، وقد أشار "سيدجويك" إلى أن مثل تلك القواعد الحدسية لاتكون صادقة فى كل الحالات.. فهناك قواعد يمكن الشك فيها، وهناك قواعد أخرى لاتكون صادقة بالمرة. فالقتل خطأ، لكن القتل دفاعاً عن النفس ليس كذلك، بل إن "سيدجويك" يذهب إلى إنكار أن تكون الحدوس العامة حدوساً على الإطلاق، بل هى من وجهة نظره مجرد تعميمات اشتققناها من خبرتنا بأنماط السلوك التى تؤدى بنا إلى سعادتنا العامة فى المجتمع. وحينما يظهر الحدس الوضوح الذاتى واليقين، لا يكون ثمة شك فى ذلك، ولكن عند غياب هذا الوضوح الذاتى وذاك اليقين، يظهر الشك أو حتى الزيف فى قواعدنا الأخلاقية.

ويبدو أن "سيدجويك" كان على صواب حينما ذهب إلى أن القواعد العامة للأخلاق ليست حدوساً مباشرة، بل مجرد تعميمات، سواء نبعت تلك التعميمات من تعميمات جزئية لأنماط سلوك مفيدة، أو من حدوس خاصة، وهناك اعتراضان على وجهة النظر القائلة بأن الحدس هو المعيار الأخلاقى الأوحد الذى يحكم على الفعل بأنه صائب أو خاطئ:

١- إن هذا القول يتجاهل ما نسميه بروح الفعل، فقول "الصدق عن حب" أفضل من قول الصدق عن حقد أو عداء.

٢- لا تعير وجهة النظر هذه اعتبارًا كبيرًا للظروف التى يتم فيها الفعل. فالكذب فى الإدلاء بالشهادة أمام المحكمة أكثر خطورة من الكذب فى وصف مغنم إمرئ فى الصيد. (١٢)

٧ آراء سيدجويك الأخلاقية عن الدوافع والإلزام :

إن المبدأ الأخلاقى الأول من وجهة نظر "سيدجويك" يمكن أن يكون تفسيرًا للحدس الواضح وراء القيام بفعل، ويرى أنه إذا كان هذا التفسير يمكن فقط أن يتضمن فى بيان لما يسبقه من عناصر وليس للعناصر المكونة له، فيجب أن نسأل بأى طريقة يمكن بها أن يؤثر هذا البيان فى مسألة صوابه أو خطأه؟ بعض الكتاب يبدو أنهم يعتقدون أن مجرد واقعة أن الاعتقاد كان وراءه سبب يكون أساسًا لتدميره، إلا إذا كان باستطاعتنا أن نوضح أن أسبابه كانت من أجل جعله صحيحاً، ولكن هذا الاتجاه سوف يؤدى بنا فى الحال إلى مذهب الشك الكلى، مادامت مقدمات أى عرض أو بيان يجب أن تكون اعتقادات، إذا كانت هى نفسها مسببة وسوف تحتاج إلى إثبات صحتها. إلا إذا سلمنا بأن المقدمات النهائية لكل تعقل غير مسببة، وهى مفارقة لا ينوى "سيدجويك" أن ينسبها إلى الكتاب الذين يتحدث عنهم. وبالتالى يصل "سيدجويك" إلى أنه بعيد تماماً عن رفض المبادئ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأخلاقية الأولية أو المبادئ الأخلاقية المبررة ذاتياً، وأن ذلك البيان ممكن فى حالة بعض المقترحات التى يتم تقديمها كمبادئ أخلاقية مبررة ذاتياً، ولكنه لايتذكر أن محاولة القيام بذلك بشكل منظم تم تنفيذها. (١٣)

ويشير "سيدجويك" إلى أن الحجة التى يقدمها للتمييز بين الدوافع الخيرة والشريرة أو الأعلى والأقل تؤكد أهمية الحس المشترك، لذلك فيجب أن يكون واجب الرجل الأخلاقى أن يقوم بهذا التمييز بأكبر قدر ممكن من الدقة قدر الإمكان فى تطبيقه على طبقات مختلفة من الدوافع، وبالقيام بهذا سوف يقاد سيدجويك إلى تحديد هذا كما فعل دكتور "مارتينو" *Martineau، لكن مع الأخذ فى الاعتبار أن أحكامنا المشتركة أو دوافعنا سوف تقودنا إلى تفسيرها وتنظيمها بأسلوب يختلف بشكل أساسى عن نظام "مارتينو"، فوفقاً له يمكن ترتيب الأفعال الإنسانية بمقياس أخلاقى(من الأقل مرتبة إلى الأعلى مرتبة). ويرى "سيدجويك" أن وجهة نظر الحس المشترك تبدو له فى كل الحالات أو فى معظمها نوازع طبيعية لها مجالها المناسب الذى تعمل فيه بشكل معتاد، والسؤال هنا : هل ينبغى على الدافع الأعلى أن يستسلم إلى الدافع الأقل مرتبة ؟ هو سؤال لا يمكن الإجابة عنه بالطريقة العامة التى يجيب بها "مارتينو" عن هذا السؤال، والإجابة يجب أن تعتمد على ظروف وشروط معينة للنزاع بين الدوافع. لأن الدافع الأعلى ربما يتدخل بشدة داخل مجال الدافع الأقل مرتبة، كما يمكن أن يتجاوز الدافع الأقل مرتبة الدافع الأعلى. والأمر يصبح أكثر تعقيداً إذا وضعنا فى الاعتبار أننا ندرك مع تطور شخصية الفرد الأخلاقى لتصبح أفضل، فإن الدوافع الذى نصنفها على أنها أعلى بحيث يتسع مجال عملها على حساب الدوافع الأقل مرتبة. (١٤)

ويوضح "سيدجويك" أن المقياس الأخلاقى الذى وضعه "مارتينو" لترتيب الدوافع على حسب مكانتها الأخلاقية لايمكن من وجهة نظر "سيدجويك" أن يملك أكثر من الأهمية الأخلاقية، ومن الممكن أن يقدم لنا بالكاد توضيحاً لأنواع الرغبات يمكن أن يساعدنا على الاختيار بين العادات والاهتمامات والعواطف المصاحبة لها، ويجد "سيدجويك" أن الرغبة لترقية ولتغليب الخير الكلى، والتى نفهمها على أنها سعادة الكائنات العاقلة بشكل عام، هى التى تساعدنا على القيام بمقارنة بين الدوافع المتنازعة، ويرى أن هذا هو المسار الذى سوف يتبعه التأمل الأخلاقى بشكل طبيعى، فهو نظام أو دستور تكون فيه غايات النوازع

---

* James Martineum "مارتينو" (١٨٠٥ :١٩٠٠م) فيلسوف وعالم لاهوت ومن مؤلفاته "دراسة عن اسبينوزا" A Study of Spinoza عام ١٨٨٢م.
http://martineausociety. co. uk/the-martineaus/james-martineau/ (17/8/2016)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأقل مرتبة خاضعة كوسيلة لغايات دوافع معينة مسيطرة والتى يتم إدراكها على أنها أجزاء من غايات أكبر. (١٥)

ويعتقد "سيدجويك" أن كل الذين فكروا بعمق فى الأسئلة الأخلاقية، وبالتحديد الذين تأملوا الحالات اللاأخلاقية Immorality وعلاجها، والفشل فى القيام بما هو صواب بالنسبة لأنفسهم وللآخرين يجب أن يدركوا أن أسباب هذا الفشل تنقسم إلى مجموعتين : ***الأولى***: ربما يتم تلخيصها بشكل عام فى عبارة أن البشر لايرون واجبهم بوضوح كاف. والمجموعة ***الثانية***: يمكن توضيحها فى عبارة أن البشر لايشعرون بالإلزام للقيام بهذا الواجب بالقوة الكافية. ولكن هناك اختلاف كبير فى الرأى بين الأشخاص المفكرين فيما يتعلق بالأهمية النسبية لتلك المصادر المختلفة لهذا السلوك الخاطئ. والرأى الأكثر شيوعاً – كما يعتقد سيدجويك- يؤكد أكثر على المجموعة الثانية وهى الشعور الناقص أو الإرادة الناقصة. فمن الشائع أن تسمع من الوعاظ والمصلحين الأخلاقيين يقولون إن كلنا سنعرف واجبنا بشكل كافٍ لأهداف معينة، إذا استطعنا ان نركز إرادتنا فى فعل ثابت وفقاً لقناعتنا وهذا –كما يرى سيدجويك- صحيح إذا افترضنا أنه تم التخلص من أخطائنا العقلية، ومعالجة قصورنا العقلى وضعف الشخصية الذى يمنعنا من التصرف وفقاً لقناعتنا، فإن تحسناً كبيراً سوف يحدث بلا شك فى الكثير من نواحى الحياة الإنسانية. ولكن هناك نتيجة سوف تصاحب هذا التحسن ولن تكون بالتأكيد تحسناً، على الأقل فيما يترتب عليها من عواقب. فكلنا يدرك مخاطر التعصب، لكن من يكون المتعصب؟ ويجيب –سيدجويك- بأنه يعرف أن إجابة واحدة يمكن تقديمها لهذا السؤال، وهى أن المتعصب هو شخص يتصرف وفقاً لقناعاته عندما تتعارض مع الحس المشترك لكل البشر، لذلك إذا افترضنا أن عنصر الخطأ العقلى فيما يتعلق بأسباب الفعل الخاطئ يبقى بدون تغيير، فى حين أن عنصر ضعف الشخصية، والدافع، أو الإرادة للقيام بالواجب يتم الاستغناء عنه، فيجب أن نفترض أن التعصب سوف يتزايد بشكل كبير. (١٦)

وأن مثل هذه الاعتبارات قد قادت بعض العقول المفكرة لكى تتبنى وجهة نظر مخالفة تماماً، واعتبروا أن من المهم جداً أن نستبعد المصدر العقلى للخطأ فى التصرف. والتمسك بأن الخير الحقيقى لكل فرد يتوافق وينسجم مع خير كل الأفراد الآخرين، وأن ما يريده كل فرد حقاً هو الخير الخاص الحقيقى إذا فقط عرف ما هو هذا الخير. لكن وجهة النظر هذه هى أيضاً بسيطة جداً وغير مؤهلة، حيث إن الإنسان غالباً ما يضحى بما

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يعتبره مصلحته. فهذه الفكرة الكلية والانسجام التام لمصالح كل الأفراد الإنسانية تنتمى للتوهم المتفائل الخاص بالعلاقات الإنسانية والتى تقريباً تلاشت فى عصرنا الحالى. (١٧)

ويتوصل "سيدجويك" إلى فكرة أن التحسن فى البصيرة الأخلاقية مطلوب بالقدر نفسه الذى نحتاج فيه للتحسن فى الشعور والإرادة، لكن ليست رغبة "سيدجويك" أن يقرر هل من أجل أن يتحقق التحسن الأخلاقى نحتاج بشدة إلى قوة دافعة لكى نقوم بواجبنا أو لكى تمنحنا بصيرة أوضح لما يكون بالفعل واجبنا؟ ولقد قام "سيدجويك" بالإشارة إلى هذا التمييز (بين القوة التى تدفعنا للقيام بواجبنا، والقوة التى توضح لنا ماهو واجبنا) لكى يوضح الهدف من حديثه عن أخلاق النزاع Strife. والنزاع الذى يقصده "سيدجويك" هنا هو النزاع الذى يؤدى إلى الحرب التى تقوم فيها حضارات بتدمير بعضها البعض، هذا النزاع الذى تسبب طبيعته الأساسية وأحداثه المتتالية أكبر قدر من الكراهية والحيرة الأخلاقية للعقل الحديث. وفى الوقت نفسه يبدو لـ "سيدجويك" أن أعمق المشكلات التى تصدرها لنا الحرب، وأعمق المبادئ التى يمكن تطبيقها لمعالجة هذه المشكلات يمكن تطبيقها على الصراعات الأقل حدة والتى قد تحدث بداخل المجتمع المسالم، وبخاصة تلك الصراعات الصغيرة التى تحدث حول الثروة والسلطة داخل طبقات وأحزاب الدولة. وبالتأكيد بالرغم من أن هذه الصراعات الصغيرة تتغير بطرق أكثر اعتدالاً، إلا أنها تشبه إلى حد كبير الحروب فى الحالة العقلية والشعورية التى تتسبب فيها، وأيضاً فى الصعوبات والمحن التى تحدثها. (١٨)

ويناقش "سيدجويك" فكرة إيجاد مبرر أخلاقى للحرب، ويذكر أن البعض يرى أن على الأخلاقى أن يرفض وجود الحرب، ويقضى على مصدرها الذى يتمثل فى نقص مشاعر العطف بين الكائنات الإنسانية. فانتشار مشاعر العطف والإرادة الخيرة يجعل الغيرية تتفوق على الأنانية. ولا ينكر "سيدجويك" أن حل مشكلة الحرب ربما يكمن فى هذا الانتشار لمشاعر العطف إذا كانت حماسية بشكل كاف وكلية، ويجب بالضرورة أن يكون هذا الانتشار كلياً. (١٩)

ويرى "سيدجويك" أنه حينما ينتهى مجال الوسائل السياسية للوصول إلى السلام والعدالة الدولية، يبدأ المجال الخاص بالوسائل الداخلية والأخلاقية المناسبة، وإذا كنا قضاة نحكم فى قضيتنا الخاصة، فيجب أن نكون قضاة عادلين. ويبدو لـ "سيدجويك" مع ذلك أنه بالكاد يكون هناك أى واجب واضح له أهمية كبيرة يفشل الإنسان المتحضر فى القيام به بشكل ملموس. (٢٠)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويصل "سيدجويك" إلى أن هناك ثلاث مراحل يمكن أن نرتقى بها لكى نتجاوز النزاع:

- ***الأولى*** : يمكننا أن نحاول وضع أنفسنا فى مكان الآخر، ونحمل معنا مبادئنا ووجهات نظرنا عن الصواب، وننظر بداخل قضية الآخر: هل من الممكن أن نصل إلى شئ أكثر من ذى قبل عندما كنا خارج القضية ؟
- ***الثانية*** : إذا لم يكن لدينا شك فى أن الآخر الذى يخالفنا الرأى على خطأ وفقاً لمبادئنا عن الصواب، فمازال يجب علينا أن نسأل أنفسنا: هل نطبق هذه المبادئ فقط من أجل الحصول على حقوقنا، أم أننا نطبقها أيضاً من أجل القيام بواجباتنا؟
- ***الثالثة*** : إذا كان يبدو لنا أن هناك اختلافاً حقيقياً فى المبادئ، فيجب أن نتحمل القيام بأصعب واجب يمكن أن نقوم به نحن أنفسنا فى موقف محايد لتأمل كل المبادئ المختلفة والنظر إذا لم يكن هناك عنصر من الحقيقة فى وجهة نظر الآخر الذى يخالفنى فى الرأى، وقد نكون أغفلناه. (٢١)

ويقرر "سيدجويك" أن الأمل الوحيد لمنع النزاع بداخل الدول الحديثة من أن يتزايد بشكل مستمر وخطير، يكمن فى إقناع المواطنين من كل الطبقات والمناطق أنه ليس كافيًا أن نرغب فى العدالة بإخلاص، فهم مطالبون أن يهذبوا من أنفسهم عن طريق العمل والجهود المستمرة من أجل تفهم الحقائق المختلطة بالأخطاء، لأن هذه هى الوظيفة الأسمى والأكثر مسئولية التى تكلفهم بها الديمقراطية من أجل تقرير وإعلان العدالة الاجتماعية، وإذا لم يحدث ذلك، فإنه لا يرى أى سبب يمنع من وصول النزاع داخل المجتمع إلى حرب فى المستقبل كما حدث فى الماضى. (٢٢)

٧ النقد الموجه لـ " سيدجويك" والرد عليه:

يعرض "باركر" Barker* نقد "آلبى" Albee** الموجه لأفكار "سيدجويك" التى قدمها فى مؤلفه "مناهج علم الأخلاق"، وذلك فى كتابه "تاريخ النفعية" History of Utilitarianism :

١) يعد "آلبى" مفهوم "سيدجويك" للتعقل غامضاً ويرى أن هذا الغموض يظهر فى بعض أقوال "سيدجويك" ويدافع "باركر" عن "سيدجويك"، ويصرح بأنه لا يستطيع

---

* Henry Barker هو محاضر فلسفة الأخلاق بجامعة "ديوك" Duke بالولايات المتحدة الأمريكية.

** Ernest Albee "ألبى" (١٨٦٥: ١٩١٧م)هو أستاذ الفلسفة بجامعة Cornell ومن مؤلفاته "تاريخ النفعية الإنجليزية" عام ١٩٠٢م
https://ecommons. cornell. edu/bitstream/handle/1813/18772/Albee_Ernest_1917.pdf?sequence=2&isAllowed=y

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أن يرى بوضوح الغموض الذى أشار إليه "ألبى" أو أى غموض ملحوظ فى هـذا المفهوم. ويعتقد "باركر" أن على "ألبى" الإشـارة إلـى عبـارات صـريحة لـ "سيدجويك" توضح هذا الغموض المزعوم. ويذكر "باركير" حديث "ألبى" عما قاله "سيدجويك" فيما يتعلق "بالتنازل للحدسية" Concessions of Intuitionism يرى "باركر" أننا سوف نجد هذا الحديث مضللاً عندما نتذكر أن "سيدجويك" فى مراحل تفكيره الأولية قد تعالى على الخلاف بين الحدسية والنفعية، ومن الصعب القول إن "سيدجويك" يقصد أن الأخلاقيين الحدسيين يميلون بشكل عام إلى المبالغة فى القوة الحقيقية للعقل العملى، فلم يقع "كانط" فى هذا الخطأ، ويعتقد "باركر" أن "سيدجويك" قصد ببساطة أن الأخلاقيين لم يبالغوا فى تقدير السلوك الفاضل الحقيقى فى العالم، ومع ذلك ربما يكونون قد أفرطوا فى تمجيد العقل فى نظرياتهم الأخلاقية[٢٣].

٢) وفقاً لـ "ألبى" فإن "سيدجويك" كان مهملاً فى الإصدار الأول لكتابه "مناهج علـم الأخلاق" لدرجة أنه أساء تفسير نظرية "مل" فى الرغبة، ولكن "باركر" يـرى ان الفقرة التى استعان بها "ألبى" للتدليل على هـذا تبـدو أنهـا بالكـاد توضـح أن "سيدجويك" يعتبر "مل" صاحب مذهب اللذة النفسىPsychological Hedonist، وهو تفسير ليس غريباً بالنسبة لـ "سيدجويك". ربما لم يتم ذكرها فـى الإصـدار الثانى بسبب تركيز "سيدجويك" على إظهار الفرق بين مذهب "مل" اللذى النفـسى عن العبارة الأكثر صرامة فى نظرية بنتام Bentham، ويبدو أن "ألبى" يشير إلى أن "مل" لم يعتقد أن اللذة هى فقط التى يجب الرغبة فيها بشكل مطلق". [٢٤]

٣) عند معالجة "سيدجويك" لتصنيف المناهج لاحظ "ألبى" أنه لم يعالج نظرية الإدراك الذاتى Self –Realization، ولكن يبدو أن "ألبى" لم يلتفت إلـى أن "سـيدجويك" كان مهتماً ليس بالنظريات الأخلاقية بشكل عام، ولكن بالنظريات الأخلاقية مـن وجهة نظر "المنهج"، وأن مساندى نظرية الإدراك الذاتى لـم يقـدموا أى مـنهج بالمعنى الذى قصده "سيدجويك"، وبالأحرى فهم ينكرون إمكانية وجود مثـل هـذا المنهج، وقد صرحوا بتقديم معادلة وفقاً للشروط التى يمكن من خلالها التعبير عن الطبيعة العامة للسلوك الأخلاقى، وليس وفقاً للشروط التى يمكن بها تحديد أخلاقية أفعال محددة. ويرى "باركر" أن المرء الذى قرأ "مناهج علـم الأخـلاق" يمكـن بسهولة أن يقرأ النتيجة من خلال المخطط الفارغ للتصنيف، وأن التصنيف بشكل كبير هو الذى يقدم لنا الحجة التى يقوم عليها العمل ككل. ولكن ما قدمه "ألبى" من نقد لـ "سيدجويك" يحمل اقتراحآ مختلفاً وخاطئاً إلى حد بعيد.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقد تشكك "ألبى" حول ما إذا كان "سيدجويك" على صواب عندما اتخذ الأنانية (مذهب الأنانية) كمنهج لعلم الأخلاق من الأساس. ويعتقد "باركر" أنه يفهم حجة "ألبى" فى هذا، ويجد أنها شيقة وموحية، ولكنه مضطر إلى أن يعتقد أنها لم توجه بشكل صحيح كنقد لـ "سيدجويك" فالحجة تسير كالآتى : " إن منهج علم الأخلاق كما هو واضح فى الاصدار الأول (من كتاب مناهج علم الأخلاق) هو واحد من مناهج مختلفة من أجل الحصول على قناعات معقولة عما ينبغى القيام به، والتى نجدها فى الوعى الأخلاقى للبشر بشكل عام والذى يتم تطويره من وقت إلى آخر سواء كل منهج على حدة أو بشكل جماعى بواسطة المفكرين حتى تكون المذاهب التى أصبحت الآن تاريخية، ومن هنا فإنه لايوجد أى مفكر من المفكرين الذين تمت الإشارة إليهم، والذى ربما يتبع أو يبدو أنه يتبع النظرية الأنانية للدافع الأخلاقى اقترح أن الفرد من الممكن أن يحصل على قناعات معقولة حول ما ينبغى القيام به من مجرد حساب لما يمكن أن ينتج عنه أكثر متعة أو لذة لنفس الفرد (لذاته). فقد كان من السمات المميزة للثنائية الأساسية لوجهة نظرهم العامة لعلم الأخلاق هو أن ينظروا فى الغاية الذاتية للفعل أو دافع الفرد الأخلاقى، بعيداً عن الغاية الموضوعية أو معيار من أى نوع يتم افتراضه لتحديد أخلاقية الأفعال الإنسانية"[٢٥]

ففى هذه الفقرة نلاحظ نقطتين:

الأولى: يبدو أن " ألبى" لم يلاحظ عبارة "بشكل جماعى" (أو مركب). فـ"سيدجويك" لم يكن مطالباً عند تعريفه للمنهج أن يؤكد على أنه بالكاد يكون هناك أى أخلاقى أنانى بشكل خالص. فقد كان هدفه بالتحديد أن يفرز ويعزل المناهج التى تكون فى العادة مختلطة ومرتبكة، وبعد ذلك يقوم بربط هذه المناهج بموضوعاتها المنطقية. [٢٦]

الثانية : إن نقد "ألبى" للتمييز الذى أشار له "سيدجويك" بين الغاية الذاتية والموضوعية يمكن أن نقول عنه إنه (مقبول) أكثر منه مقنع. لأنه بالرغم من أهمية هذا التمييز التاريخي، إلا أنه يتحول فى النقد الحديث للنظريات الأخلاقية إلى تمييز بين أساس وقاعدة الفعل، أو بين الغاية النهائية والتقريبية للفعل. والكاتب فى المنهج من الواضح أنه سوف يكون مهتماً أكثر بالمبادئ النهائية والتداعيات المستترة للميول المختلفة للتفكير الأخلاقى أكثر من اهتمامه بالنظريات الأخلاقية التى لم تتطور بشكل كامل، وغالباً ما تكون غير مفهومة (وتظهر فى التاريخ). لكن من وجهة النظر التاريخية نجد من العبث أن ننظر إلى "هوبز" Hobbes كأخلاقى يتبع مذهب الأنانية، كما يجده "ألبى"، ويرى "باركر" أن "ألبى" يرغب فى حصر مصطلح الأنانية بحيث يعنى الأنانية ضيقة الأفق التى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لا تستطيع أن ترى ميزة ملاحظة القواعد الاجتماعية للسلوك. كما أن "ألبى" يعنى أن هـذا لم يكن المعنى الذى استخدم به "سيدجويك" المصطلح، وبالطبع ليس كل الـذين أصـيبت نظرياتهم بأنانية مستترة كانوا أنانيين بشكل أساسى. ولكن "سيدجويك" قد أنكر هذا. ويعتقد "باركر" أن إحدى المميزات العظيمة عند "سيدجويك" ككاتب فى المنهج قيامه باسـتخلاص مبدأ الأنانية –وهو مبدأ الذاتية فى الأخلاقية- من شوائبه التاريخية وألزمنا بتحديد موقفنـا تجاهه. وبالتالى لم يعد "سيدجويك" الأنانية على أنه منهج ممكن أو أسـاس لمـذهب فـى الأخلاق. وهذا لم يمثل سبباً بالنسبة له لكى يرفض أن يبحث فى حججه، ويحـدد مكانـه كعنصر كاف فى المذاهب. وهو الأمر الذى يعتقد "ألبى" أنه يمثل سبب رفضه. [٢٧]

وينتقل "ألبى" إلى نقد ما يطلق عليه "سيدجويك" الحدوس الأساسـية هـى العدالـة، والفطنة، والإحسان، ويرى أن "سيدجويك" لم يبذل مجهوداً كافياً لتوضيح أن هذه المبـادئ حدسية، ويرد "باركر" بأن "ألبى" ربما ظلم سيدجويك" عند توجيه هذا النقد له، لأن المرء قد يستطيع محاولة إثبات صحة المبدأ أو حقيقته، ولكن الأصعب أن يثبت أنه يملك دليل صحته بداخله، فهذا أمر يثبت عن طريق التجربة، ووفقاً لـ "سيدجويك" قد تعرضت هذه المبادئ الثلاثة لنقد وفحص دقيق، ونجحت فيه، ويبدو لـ "سيدجويك" أن هذه المبادئ تم التعبيـر عنها بشكل واضح ومميز. وربما كما يوضح "باركر" أننا لايمكننا أن نقبل هذه المبادئ التى يقدمها لنا "سيدجويك" على أنها صحيحة بدون فحص إضافى، ولكن "باركر" لايستطيع أن يرى كيف يمكننا أن نتوقع أى فحص إضافى لهذه المبادئ من قبل "سيدجويك"[٢٨].

إن مبدأ "سيدجويك" عن الفطنة Prudence وفقاً لـ "آلبى" يتضمن افتراضين:

أ. الافتراض الأكثر خطورة بأن هناك خيراً خاصاً بى منفصلاً من حيث الغاية عـن خير الآخرين بشكل أساسى. فـ"سيدجويك" لايقبل بالثنائية بين الـسعادة الفرديـة والسعادة العامة حتى بعد البحث الدقيق والتأمل؛ ومع ذلك فأن "ألبى" يعتقـد أنهـا متضمنة فى مبدأ مجرد جداً لتفضيل خير الفرد الذى يمكن أن يتعارض مع خيـر الآخر. ويرى أن رأيه صحيح، ويقول إن الافتراض المزعوم لايكـون واضـحآ حتى يتم اعتبار مبدأ الفطنة منفصلاً وسابقاً على مبدأ الإحسان. لكن كون المبـدأ منفصلاً منطقياً هو أمر واضح، إذا لم نفترض بدون اختيـار أن الخيـر الفـردى والخير العام متماثلان، فى حين أن واحداً منهم يسبق الآخر منطقياً. وهو الأمـر الذى يتعارض مع وجهة نظر "سيدجويك" كما يرى "باركر".

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ب. ويعتبر"ألبى" أن مبدأ الفطنة يمثل لـ"سيدجويك" مكانة أعلى منطقياً من مبدأ الإحسان وهو مستنتج من مبدأ بلا اسم له على درجة كبيرة من العمومية، وهذا المبدأ غير المسمى هو الذى يطلق عليه بشكل أساسى مبدأ العدالة الذى يترجم بمعنى الخير، ويرى "باركر" أن "ألبى" ليس لديه الدليل الكافى لإثبات هذا. (٢٩)

كلمة أخيرة يضيفها "ألبى" عن مناقشة "سيدجويك " والتى تتعلق بطبيعة "الخير". ويعلق "ألبى" على مناقشة "سيدجويك" هذه المشكلة ويقول:" مرة أخرى نجد القرار المتسرع لتحديد طبيعة الخير بالكاد يظهر على أنه معالجة فلسفية لهذه المشكلة المهمة" ويرد "باركر" هنا بأن أى فرد لايتبع مذهب اللذة يجب أن يتفق مع "ألبى" فى الشعور بالأسف، لأن "سيدجويك" لم يعتقد أنه من الضرورى أن يحقق فى هذه المشكلة بشكل موسع. ولكن بالتأكيد من المحتمل أن يكون التعبير عن هذا الشعور بالأسف بأسلوب أقل قسوة. فـ "سيدجويك" ربما لم يصل إلى المعايير التى وضعها "ألبى" للتدقيق الفلسفى فى هذه المسألة، ولكنه قد وصل إلى المعايير التى وضعها هو لنفسه أى "سيدجويك"، فبالرغم من أنه من حقنا أن نشعر بالأسف إن كان هذا قراره، إلا أننا ليس من حقنا كما يرى "باركر" أن نطلق على قراره هذا أنه متسرع أو غير فلسفى. ومن ناحية أخرى يرى "باركر" أن "ألبى" كان هو نفسه متسرعاً فى تناوله لهذه المناقشة. فبعد أن صرح "سيدجويك" بأنه: "إذا كانت صفة إنسانية محددة مرغوبة بشكل مطلق، فإنها يجب أن تنتمى إلى الحياة الإنسانية فيما يتعلق بجانبها الفيزيائى"، ويستمر "سيدجويك" فى مناقشة أن "ليس كل الحياة فى جانبها الفيزيائى نستطيع أن نحكم أنها مرغوبة بشكل مطلق، لأنها تتضمن الألم بالإضافة إلى اللذة، فما هو مؤلم ليس مرغوباً فيه "(٣٠). فما يريد أن يؤكد عليه "سيدجويك" هنا أن الألم أو ماهو مؤلم ليس مرغوباً فيه. (٣١)

وربما يقال إن "سيدجويك" قد أكد على أن خير أى فرد ليس أكثر أهمية - من وجهة النظر الكلية – من خير أى فرد آخر، وأنه من الواضح (أى من المبرر ذاتيا) بالنسبة لى أنا ككائن عاقل أننى ملتزم بأن أهدف إلى الخير العام، وينبغى ألا أفضل الخير الخاص القليل على الخير الأكثر للآخر، ولكن "براندت" Brandt* يرى أن رأى "سيدجويك" ليس بالضرورة مبرراً ذاتياً. (٣٢)

---

* Brandt (١٩١٠ : ١٩٧٩م) وهو فيلسوف أمريكى نفعى، قضى معظم حياته العملية بجامعة متشجن، ومن اهم مؤلفاته "النظرية الأخلاقية" عام ١٩٥٩، و" نظرية الخير والصواب" عام ١٩٧٩م.
Brandt. Richard B. , {Facts,Values,and Morality},Cambridge university, New York, press,1999. ,p. I

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويمكننا فى النهاية أن نرى بوضوح أن موقف "سيدجويك" كان بالطبع نفعياً فى أغلب جوانبه الأخلاقية، فقد اعتقد أن الخير الوحيد المطلق أو الأصيل هو حالات مرغوبة أو سارة من الوعى، وأن الأفعال تكون صحيحة بشكل موضوعى فقط إذا أنتجت خيراً أكثر من أى بديل آخر متاح للفرد، وأن القواعد الأخلاقية مثل قول الحقيقة والوفاء بالوعد تخضع لمبدأ المنفعة وتعتمد عليه مهما كان قدر الصواب الذى تملكه. [٣٣] ويؤكد "سيدجويك" على دور الحدس فى عملية تحديد صواب أو خطأ الفعل، ولكنه ليس العنصر الوحيد فى هذه العملية ــ فإلى جانب الحدس يوجد عنصر اللذة والتى تمثل الخير.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هوامش البحث

(١) توفيق الطويل، الفلسفة الخلقية نشأتها وتطورها، ط٢ موسعة ومعدلة، دار النهـضة العربية، القاهرة، ١٩٦٧م، ص٢٣٨: ٢٣٩.

(٢) المرجع السابق، ص٢٤٠: ٢٤١.

(٣) المرجع نفسه، ص٢٤٦.

(٤) توفيق الطويل، الفلسفة الخلقية نشأتها وتطورها، ص٢٤٩.

(٥) Sidgwick,H,Methods of Ethics,London,1907,P. 7,PP. 100-102

(٦) المرجع السابق، ص٢٥١.

(٧) المرجع نفسه، ص٢٥٣.

(٨)توفيق الطويل، الفلسفة الخلقية نشأتها وتطورها، ص٢٥٥.

(٩) محمد محمد مدين، الحدس الأخلاقى، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ب. ت، ص١٧.

(١٠) المرجع السابق، ص٢٢: ٢٣.

(١١) المرجع نفسه، ص٢٦.

(١٢) وليام ليلى، مقدمة فى علم الأخلاق، ترجمة وتقديم وتعليق :على عبد المعطى محمد، منشأة المعارف، الاسكندرية، ٢٠٠٠م، ص٢٦٣: ٢٦٤.

(١٣) Sidgwick,Henry,The Establishment of Ethical First Principles,Mind,Vol. 4,No. 13(Jan),Oxford University Press, 1879,p. 110:111.

(١٤)Sidgwick,Henry,Idiopsychological Ethics,Mind,Vol. 12,No. 45, Jan,Oxford University Press,1887,p. 41:42

(١٥) Ibid,p. 43:44.

(١٦) Sidgwick,Henry,The Morality of Strife,International Journal of Ethics,Vol. 1,No. 1(Oct.),University of Chicago Press,1890,p. 1

(١٧)Ibid,p. 2.

(١٨)Opt. cit,p. 3.

(١٩)Sidgwick,Henry,The Morality of Strife,p. 4.

(٢٠)Ibid,p. 13.

(٢١)Opt. cit,p. 14.

(٢٢)Sidgwick,Henry,The Morality of Strife,p. 15.

(٢٣) Barker,Henry,ARecent Criticism of Sidgwick's Methods of Ethics, The Philosophy Review,Vol. 11,No. 6 (Nov.)Duke University Press,p. 607.

(٢٤) Ibid,p. 608.

(٢٥) Albee. Ernes, A History of English Utilitarianism,London,

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

Swan Sonnenschein; New York, Macmillan, 1902,p. 382:383.
(٢٦)Barker,Henry,ARecent Criticism of Sidgwick's Methods of Ethics,p. 609.
(٢٧)Ibid,p. 610.
(٢٨)Opt. cit,p. 611.
(٢٩)Barker,Henry,ARecent Criticism of Sidgwick's Methods of Ethics,p. 612.
(٣٠)Sidgwick,H,Methods of Ethics, The Macmillan Company, London,1907,P. 396.
سيدجويك، المجمل فى تاريخ علم الأخلاق، ترجمة : توفيق الطويل، عبد الحميد حمدى، الجزء الأول من أقدم العصورإلى مطلع العصر الحديث، ط١، دار الثقافة، الإسكندرية، ١٩٤٩، ص٣١.
(٣١)Barker,Henry,ARecent Criticism of Sidgwick's Methods of Ethics,,p. 613.
(٣٢)Brandt. Richard B,A Theory of The Good And The Right, Clarendon,Oxford,1984,p. 217.
(٣٣)Edwards, Paul, The Encyclopedia of philosophy Macmillian, Vol. 7,New York,1967,p. 436

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مصادر ومراجع البحث

أولاً: المصادر الأجنبية:

-مؤلفات سيدجويك:

1- Sidgwick,Henry,The Establishment of Ethical First Principles,Mind,Vol. 4,No. 13(Jan),Oxford University Press, 1879.
2- Sidgwick,Henry,Idiopsychological Ethics,Mind,Vol. 12, No. 45 Jan,Oxford University Press,1887.
3- Sidgwick,Henry,The Morality of Strife,International Journal of Ethics,Vol. 1,No. 1(Oct.),University of Chicago Press,1890.
4- Sidgwick,H,TheMethods of Ethics, The Macmillan Company, London,1907.

- مصادر ومراجع أخرى:

1- Albee. Ernes, A History of English Utilitarianism, London, Swan Sonnenschein; New York, Macmillan, 1902.
2- Barker, Henry, ARecent Criticism of Sidgwick's Methods of Ethics, The Philosophy Review,Vol. 11,No. 6 (Nov.)Duke University Press,1902
3- Brandt. Richard B,A Theory of The Good And The Right, Clarendon,Oxford,1984.
4- Brandt. Richard B. , {Facts,Values,and Morality}, Cambridge university, New York, press,1999. ,p. I
5- Edwards, Paul, The Encyclopedia of philosophy Macmillian,Vol. 7,New York,1967.
6- Craig ,Edward, The Shorter Routledge Encyclopedia of Philosophy ,Routledge Taylor &Francis Gourp,London and NewYork,2005
7- Gowans. Christopher W ,Moral dilemmas, Oxford press, New York,1987.
8- Mackie, Ethics :Inventing Right and Wrong, ch6" Utilitarianism", The "proof" of utility, Penguin Books 1990.
9- Scarre Geoffry, Utilitarianism,Routledge,New York,1996,

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ثانياً المراجع العربية :

١- توفيق الطويل، الفلسفة الخلقية نشأتها وتطورها، ط٢ موسعة ومعدلة، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٧م،

٢- جوناثان رى، وج. أو. أرمستون، الموسوعة الفلسفية المختصرة، ترجمة :فؤاد كامل، جلال العشرى، عبد الرشيد الصادق المحمودى، مراجعة واشراف: زكى نجيب محمود، المركز القومى للترجمة، القاهرة، ٢٠١٣.

٣- سيدجويك، المجمل فى تاريخ علم الأخلاق، ترجمة : توفيق الطويل، عبد الحميد حمدى، الجزء الأول من أقدم العصورإلى مطلع العصر الحديث، ط١، دار الثقافة، الاسكندرية، ١٩٤٩،

٤- عادل ضاهر، نقد الفلسفة الغربية الأخلاق والعقل، الجامعة الأردنية بالأردن، المجلة الفلسفية، الجمعية الفلسفية العربية، ١٩٩١م.

٥- محمد محمد مدين، الحدس الأخلاقى، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ب. ت.

٦- وليام ليلى، مقدمة فى علم الأخلاق، ترجمة وتقديم وتعليق :على عبد المعطى محمد، منشأة المعارف، الاسكندرية، ٢٠٠٠.

ثالثاً: مواقع على شبكة المعلومات العالمية:

1-http://martineausociety. co. uk/the-martineaus/james-martineau/ (17/8/2016)

2-https://ecommons. cornell. edu/bitstream/handle/1813/18772/ Albee_Ernest_1917. pdf?sequence=2&isAllowed=y (20/8/2016)

3- http://plato. stanford. edu/entries/intuition/ (29/8/2016)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com